أ.د/ حاتم عبد الهادي السيد
مع تحياتي
محمود عبد الصمد زكريا

لكنه عبدُ الصمدْ

شعر / محمود عبدالصمد زكريا

إلى أمل الغد .. سامح

زهرة القلب .. سماح

ربيع العمر .. مروة

إلى الوالد والأخ والصديق .. حسن

إلى وفاء

الاسكندرية
٤٥ ش ابو حيان / باكوس / الرمل
ت ٥٤٧٤٦٠٤٠١

لكنه عبدالصمد

ينوى الفجيعة ثانياً

جسدٌ .. تعثر فى مروءته
وضنٌ يحمله التيارُ
حين تشققت عن صوته الكلماتُ
ظل نزيل تربتها ، وأنكره الجميعُ
مخافةٍ حيناً
وحيناً .. بالضراوة الأقدار
أسقطه الحسابُ المرُ محض خرافةٍ
أو كذبةٍ تسرى كماءِ النارِ فى الحلقومِ
تنده صاحباً ، ويكاد يسمعها ،
تُخصِّبُ نطفةٌ فى السرِّ،
تلتقط الطبيعةُ حبةً من ملحٍ
لا تدرى ملوحتها

ستدخل ساحة التاريخ من باب الغرامِ
تلفها عبقاً لمن راحوا
بحسرة أن يُرى نجمى على أفقِ الحلولْ .

* * *

جسد وطن

وطنٌ .. يسيل على حرير الماءِ
أوطانٌ تراود بعضها
والنبت يضحك بين عينيها
وحرباءٌ تبدل جلدها من صُفرةٍ فى اللونِ
كيف تكون هذى البطنُ خضراء
وتشكو صُفرةً فى الوجهِ ياعبدَ الصمدْ
من أى ماجهةٍ ستدلف للهوى القمحىّ ؟
عضوا مهجتكْ
أرنو إلى زيف الموائد ، وهى تعلن خائفةْ
عن فارسٍ ذبحوه فى شَرفِ الوليمةِ

دون أن يدرى أحدْ
طعنوا إضاءته ولم ينطق أحَدْ
لعقوا براءته ولم يرفض أحَدْ
أطل على غثاءِ السيل متقداً بأحلامى
وكلُّ محارق الأوهام أذروها بأقدامى
جمعت سُلافةَ الأنغامِ سُكرَةً
وذوّبت الهوى فى النورِ ، ياوطناً
يغرد فى الرؤى العذراءِ
كيف تركتنى ، والجدبَ ، والديجور
أسحب ناقةً مشلولة كالنعش
للموجِ الصباحىِّ المسافرِ فى الحرَيقْ
وأأسس الخطو الطريقْ
من أى ماجهةٍ ستخرج ناقتى للشرب؟
تبدأ مهرتى فى الرقـص
أزفـــر آهـــةً

تمتـــد حتـــى الضــدِ
مـــَنْ ياأخوتـــى فـــى اللـــونِ
يعـــرف زفـــرةً تهـــذى
وتسكـــن زفـــرةً أخـــرى
تـــنادم شَجْرَةُ الزيتـــون ، كـأسَ الطـــين
ماءٌ طـازجٌ يربـد فى سعـفِ الحلولِ
بـــين الندى الممـــتد
يختصـر المواويلَ النـديةِ فـى المـدى
والطينُ ...
هذا الطينُ كيف يدور دورته ، ويسقط ناشفاً ؟

* * *

جسدٌ وَطَنْ
وطنٌ وَجعْ
وجعٌ .. يَرُبُّ الكونَ ، يصنع بصمةً
ألقٌ ونيرانٌ تُشكل صوتَهُ وهجاً

علـى ورق الهـوى
وعواصـفُ ، قبـعت براحـةِ كفّهِ
السـوسُ يمخـر فـى أغانيـه النـديةِ
دون أن يدرى أحَدْ
والحكـمُ صـار دمَ الذبيحـةِ
أنـتَ ياعبـدَ الصـمدْ
مـن أى ماجهـةٍ ستخـرج ، قـُل لنـا
جدبٌ إلـى مجراهُ يغوينا ، ليقتلنـا
جـدبٌ يحاصـرنا
جـدبٌ ، هـى الأمطـارُ تعـرف أصـلهُ
وتبيـع للأنهـار سفـك دمـائهِ
وتدعـوه النكـدْ
ياأنـت ياعـبدَ الصـمدْ
قتلـوك
أنتَ هـنا لهـم

لغـــمٌ يـؤرق نومهـــم

إن قيـــل مَـــنْ ؟

قُلْ : إنـــه وجـــــعٌ يـــهلّ هـــلالُهُ

تسعـــى الأوانـــسُ نحـــوه

فيردهـــن غُلالةً .. فغـــُلالةً

ويـــروح يغـــزل ثوبـــه ، فـــى النـــورِ

يغـــزل وحـــدهُ

فإذا بـــه

مهرٌ يراود مهـرةً عربيـةً تدعـى وَطَـنْ

* * *

جسـدٌ وَطَـنْ

وطـنٌ وَجـعْ

وجـعٌ نغـمٌ

نغمٌ .. طرىٌ طازجٌ

نغـــمٌ .. غـــلامٌ ســـيدٌ

نغمٌ .. وينفث في الفضاء حرائقاً
منذورةً للمد
نغمٌ ، يكوّرُ قبضةً في الكونِ
يرسم كوكباً
هذا هو الشعريُّ مشغولٌ
بخلطِ اللينِ في الألوانِ
يرسم للجنوحِ معابراً
ترسو على فخذين من ألمٍ
تحاور شكلها وتناطح الأشكالَ
مَنْ لصبيةٍ ، لبست حجابَ الشكِ
ترجو سطوةً
أدري بأن الموجَ يرهب سطوتي
نغمٌ ، يراقصه نخيلٌ عارفٌ
يمشي على الأعرافِ
في تطواف هذا الملك في الملكوتِ

ياعبدَ الصـمدْ
نـغمْ أنـا
أطفو لكى أهب السمـاء مَغازلاً للشِعـرِ
يأكلنـى الرغـامُ
نغمٌ ، بذلت له غدى فرحاً ، فطوحنى الزمانُ
مـن أى ماجهـةٍ أحلُ
وتأكـل بعضهـا الوجهـاتُ
حتـى لـو طفـوتُ محمـلاً بالوجـدِ
تأكلنـى الجهـاتُ
نغـمٌ ، ويسمـو فـى الزمـانِ الطعـنِ
يتبع خطـوه الريحـانُ
تعـرفهُ ، يغرّدُ فـى سـوادِ الطـين
يعلـو فـى جـذوع الـنورِ
يدخـل فـى رنـين اللـونِ
جادتْ شجرْةُ الزيتـون بالزقـوم

أكلــت أبنــها الهــرةُ

نــغمٌ ، يفجــر حنــطــةً

بلورت حنطتــهُ فذابــت فــى فمــى

أنشــودةٌ نثــرت شعــورَ المـــاءِ

فانتفـــض الحــــنين زوارقـــاً

أهـــذى

وتلـــك قصيدتـــى تهـــذى

تحـــط علـــى حديـــث المـــوج يرتعـش الســؤالُ

تصيــر خميــرةَ الخبــزِ المعالـــجِ بالألـــمْ

تصيــر الخبــز مـــَنْ يأكـــل ؟

ياأيهـــا الناسـ............ون

لا تتبادلـــوا دمـــى ذكيـــاً فـــى شرابكـــمو

أراكــم مـــن خـــلال النـــارِ

مـــن تحـــت انبجـــاسِ الشعـــر فـــى الشريـــان

مشتعـــلٌ ،

وأرسم فى الفضاء الحرُ أغنيةَ النهارْ
انهضى ياطفلةَ الروحِ الذكـيةِ
وانفض عن حفنـكِ النومَ المراوغَ
وانحنى للرقص فى حفل الختان
هل يستقيم الخط بين المنحنى
والخطُ يركب موجةً

قُلنا : فضاءك ياعصافيرَ المحبةِ ، حُلمُنا

لكنه عبدُ الصمدْ
ينوى الفجيعة ثانياً

الامارات ـ المنتدى
اكتوبر ١٩٩٠م

القطار

يمـــرُّ القطـــــارُ
فيشغل فى الليل بالَ المُحبّ
وينسابُ ، يهتك صمت الظلام المُحدِّقِ
فـــى الأفـــــقِ
- كـان المـدى أرمــدا -
هـناك ، علـى كتـف الحُلـم سـورٌ قديمٌ
وحـــين يمـــرُّ القطــارُ
يثــور الغُبـــارُ
وألمــح وجـهَ الحبيـــبة
أشـعرُ أنــى أعيــش

* * *

القطـارُ يمـرُّ
وتعدو على القلبِ نصفُ المسافةِ
مُسرعــــةً مــن خـــلالِ الزجــاجِ .

وتعـدو علـى العـينِ نصـفُ الحقـولِ
ونصـــفُ الطيـــورِ
ووجـــهُ الحبيـــبةِ بـــين التجلـــى
وبـــين الغيـــابِ
وأشـعر - مازلـت - أنـى أعـيش

*   *   *

يثـــور الغبـــارُ
تقاطيـــعُ وجـــه الحبيبـــة بيضـــاءُ
خضـــراءُ
صفـــراءُ
ووجـهُ الحبيبـــة - يومـــضُ
يخفـــت
يـــذوى
وثـم يعـــود لينفـــض عنـه الغُبـــارُ
يمشـــط شَعرَ الزمـــان / الرتيـــب -

فيبـــرز نهـــرٌ ، ويمتــــدُ

يمتــــدُ ، يمتــــدُ

لا ينتهـــــى

ويفقـــأ عـــين الصخـــور

وينهــــش رأس الجـــبالَ

ويعـــدو ، ويعـــدو

ويعـــدو ، ولا ينتهـــى

أيتـــعب هـــذا القطـــارُ؟!

* * *

يقولـون : إن المحطـة ســوف تجىء مع الفجـرِ

ولكـــن وجـهَ الحبيـبة

- فـى الصحف الأجنبية - ينبئ :

إن القطـارَ انتحـارٌ

سيفضى بشريـان قلب الحبيبة للملح

فـــى بـــرزخ ... ويـــذوبُ

يقولـــون .. مـــاذا يقولـــون؟
مـــن خـــلال الزجـــاج أرى المـــاء خيطـــاً
ويعـــــدو بجانبـــه فـــرسُ أخضـــرُ
وقافلـــةُ الإصفـــرار الرهيـــبِ
تغيـــــــبُ
تغيـــــــبُ ، تغيـــــبُ
وأشعرُ أنى أعيشُ

مصر - إبداع
مايو/يونيه ١٩٩٠م

نبوءات

هى الأرضُ قد انجزت بالزجاج طواويسها
علــى وجههــا بعـضُ ظـلٍّ
لعنـــقاءَ تطوى السماءَ
على ظهــــرها شاعرٌ ، وقصيـــــدهْ

أقــولُ لنفســى التــى لا تـُحدُّ :
المدائـنُ قــد توّجـت بالبنــاتِ شبابيكـها
فثمةَ بنـتٌ تضاجـعُ أحلامَهـــا
وثمةَ نــهرٌ بلـون الجـرادِ
يُحـبُّ برفـــــقٍ
ويحتــجُّ يســراً
ويطلــب طــاووس هــذى السمــاءِ المزركـشِ
يحلمُ بالإغتــرابِ المجـنحِ

عيدٌ بظهر الخلاءِ
لتخليد ذكرى النخيل العظيم
احتفالٌ ، على أمنيات الغيوم
وحقدٌ يغنى
وبعضُ النياقِ الوديعة تحت المدى
وهذا المدى !
والسماءُ تحبُ عصيرَ النخيلِ
فمن ذا يجود بأعصابهِ للسَماء ؟

... وأنت تتومين ، خيَّمَ دهرٌ عليك فأنضج فيك الثمار الدفينةَ ياربما تفتنين الَمدائنَ ياربما تفتنين القُرى هو الصيفُ قد شجرتهُ العواصمُ ها سكتان لأجلك مفتوحتان إلى القلب خُشى .. فإنى أدخن فى الليل بعضَ الأرامل حتى بذوغ الصُداع ، وأعلن وسط الضجيج بداية عصر جديد. تعالَى .. فإنى فطمت على الرغم منى طيورَ المشاعرِ قبلَ أوان الغناءِ وأعرف أن خضابكِ - قيل - رمادُ الملوك ، تعالىَ .. سأفتح صنبورَ شعرى العتيق ، وأملأ كوباً لأجلكِ من ذكريات القُرى ، تعالى فإن المياة الطليقة ترفضُ غيمَ البعوضِ وتلك القبيحة كُلَّ مساءِ ، تجود بفيضِ الحثالةِ فى غنوتى ...

هــي الأرضُ مطروحــة للجــدالِ
ستعصــر أعصابنــا .
وتمــلأ أيامنــا بالســؤالِ
غديــرةُ مــاءٍ ، ستعلــن سلطانــها المستبدَ
بوجــهِ الخـضارِ العفيــف
هــي الكلمــاتُ الخصيــة محـضُ هُراء
أقــولُ :
سأطلــب هــذا المـدى العنفـوان الأشـدَّ جمـوحاً
لأزرع بـين المـدارات عصـراً جديـداً
وبـين النسـاءُ عـرايا علـى حافةِ للنهـار
لقــاءَ الكــرامةِ

.. حين تأخر هذا الشعاعُ من العين دهراً رأيتُ المحارب قد سرّحتهُ القيادةُ بعد انتصارٍ فثبت رمحاً بقلب السماءِ وشد إليه الكرامة .. ثم انتحر ...

هى الأرض مشغولةٌ بالجمارِ الشواحب تحت الرمادِ
الجمـــارُ بلـــون الخلـــودِ
الجمـــارُ بلـــون العســـلْ
أنـــا صامـــــتٌ
وحـــين نطقـــــــتُ
رأيـــتُ النجـــوم إنـــاثاً تَلـــوّنَّ
أخضرهـــن تلـــوذ بِجَرّةِ بنـتٍ . علـى حافـة النهـرِ
تلهو بهـــا ، والفـرّاشَ

ســُدىً لـو أقـولُ :
الصباحُ تهيـأ من أجلـنا للنبـوة
راح يقّلـبُ مـن أجلنـا صفحـــاتِ كتـابَ النبـوةِ

* إن نساءً تضوّع منهن عِطرُ البلادِ
يضئن نخيلاً بلونِ الرجالِ

* سينهــض مـــن كُلُّ قـــبرٍ مسيــخٍ
عظيـــمٌ يصحـــح حكمـــة هـــذا الزبـــدْ

* ستنمـو الدوافعُ حتى تصير جواميس فوق المياه
وتنهـــالُ كالنشــوةِ الجارفــة

ووحدى رأيتُ تآكل عينيك ، حين تآكل طول انتظارى بعينيك وحدى .. ووحدك ، كنت تعافين هذا السكوت بقلبى .. لماذا تظنين أن ليس لى شاهدٌ وقرينٌ ، وبرهانُ صدقٍ ، مددت رداء الرؤى والحقائق ، كانت ثلوجُ الغياب تُسَرِّحُ كُبرى قصائد صمتى ، وعفواً أجيئك ، صمتاً تجيئين .. إن مكاناً لنا تحت فجر الرماد ، نخبئ فيه شذوذَ الكلام اضطراب السرائرِ عبءَ النفوسِ ، حضورى قرينٌ بهذا الحضور المغيّب عمداً ... ووحدى رأيتُ ، ووحدكِ مَنْ فجرت ما رأيتُ نشيداً شديدَ النقاء ، شديد التفاهة ، هشاً طرياً ، كأن الرطوبة قد انهكت فيه قلب الحروف كأن الزبدْ ، مايزال يغطى شفاه النشيد ، ومازال يعلو جدار السماء ، وصمتاً تضيئين ، صمتاً أضئ ، وأرفع حزنى قناعاً ، لأنجز فجراً كرخ تقيد فى ريشة ، ألم يكف أن تنتفى

من طريقى البحارُ ؟؟ وَأرفع وجهاً رقيقاً لوجهك هذا الرقيقُ ، وبيضاً يبيضُ الحمامُ ، سلامٌ إذن على شرفات القلوب المضيئة بالصمت صحبى ، سلامٌ لصحبىَ ، إن صحابى مدائنُ رملٍ وخفان تعلو ، وقد نخرتها العقاربُ أو أثقلتها الطحالبُ ، طوبى لهم لرعدةِ قلبى ، هو الليلُ يطرحُ عيداً من القطرِ ينمو ، على ريش فجر ، تعرقل فجرى على ريشة سلامٌ إذن لفجرٍ تُعرقل فى ريشة ...

هـــى الأرضُ

تنجـــب كـُــــلَّ الأعاجيـــبِ

دوراتها المتعباتُ تجمعن فى منسف الذاكرة

ومطـــروحةٌ للســـــؤالِ

فهـل ستسـافرُ فـى جملةٍ بالقصيدِ ؟

أقـــولُ :

كتائــبُ حُلمـى ، تُسرِّحُ نخلاتــها الثيبـاتِ

كقطعــان سُحــبٍ تسافــرُ

أيّ عصيرٍ ، تجود به للسماءِ أراملُ نخلٍ ؟
أقولُ :
فخاخُ السعادةِ منصوبةٌ في الرحيل
وبعضُ القُرى
قد تصاب بداءِ المزادِ ، أو المشي ليلاً
وبعضُ القُرى لا تباع
فماذا انتشارُ أولئك لم يعرفوا طعم جمر القُرى
ولم يدركوا عُرفها
ينبغي أن نُراجعْ عُرف الفحولة
هل ينبغي أن نُراجع عُرف القُرى ؟

قيل : يخرج عصرٌ من العنبرِ
أنا صامتٌ
والنهارُ تخثر بين خلاياي ، ياليتني ......

همو الراحلون . بخارٌ تصاعد من بطنِ أمي الولودِ ، تكاثف فوق ثلوجِ المدائنِ ، ياربما تفتنين طريقاً لأجلكِ مفروشةً بالحجارةِ ، والشوكِ والكهرباءِ وبعضِ النساءِ اللواتى.......

هـــى الأرضُ
مـَنْ يمنـــح الأرض شكـــلاً جديــداً ؟
غــــلامٌ ،
سيـــرصـُد عـطرُ النبـوغِ بساحـةِ بيـتٍ عتيـقٍ
أقـــولُ :

جنـاحُ المحبـةِ يسقـُطُ ريشـةَ ضـوءٍ
فتنـبع منــها العواطــفُ
أشـربُ نخب العواصـفِ وقــتَ الولادةِ
صنــبورَ شـعرٍ أصـيرُ
فريســة رؤيـــــا
فمـــن أى فـــوقٍ أجـــئُ

وأطلبُ بوحاً خصيباً بلون زنابقِ حُلمى
وأى حروفٍ هى النارُ
أنسج منها اخضراراً بحجم التمنى
وأرضى ، ستسلم روحاً
وفحماً ، يصير كتابُ الأغانى
حروق المشاعر فىَّ شعوبٌ
هى البُكمُ راحت لأجلى تغنى
وأرضى .. التى قيدت بالسلاسلِ
كُلَّ النخيلِ
وبعض النخيلِ انشقاق بغير اتجاهٍ
ويومئ من غير رأسٍ .. لأين ؟

سأمضى جميعاً
لأنى أخبئ زهرة جنسى ببيت القصيدِ
سأمضى جميعاً

ليزحف قمحُ الكلامِ على طرقاتِ المدينة حين تنامُ
سأمضـــى جميعـــاً
لأغســل كـُلَّ حـدودِ الغنـاءِ
وأطهـو حجـارة دربـى العتيـق
سأمضـى جميـعاً
لأتلـو علـى البعـدِ وحـدى
ملامـح أرض
سأمضـــى .. سأمضـــى
سأمضـى جميعـــاً

*   *   *

حـــودا

حودا

هذا المتعنقدُ فى سُرَّة باكوسِ ضفائر زنجيٍّ بهلولٍ ، يسعى فى لوحة نارمرَ مزموراً سحرياً ويلخص كراسة هم العالم فى عودٍ كخيال الظلِّ ، يرفع بصمتَهُ من قاع الحارة ... ويحاورها ، عن حَبِّ الدهرِ وطيرِ الله الكامنِ فيه والهمِّ فصيحُ ، يسيحُ ، يصيحُ بأركان القهر الشمسو قمرية ، والأفروأمريكية : لو تتحدى فى دفقة شعرٍ عُذرىٍ كنتُ ... يافجرَ الطفل النائم فوقَ فراشى ، يحلم بالمصروف ويخجلُ من وقفته قُدامَ الأبلةِ دون كتابٍ هل تأتى قبل ضياعى فى المدِّ ؟

و«قُلْ لو كان البحرُ مداداً» ، مانفدت أوجاعى أو أنغامى الناشبة أظافرها بتلابيب الآتى المفروشِ بوردِ الوهمِ

أفمن يكره منكـــم دوره تـــلك الشمـس

كـــــمن هـــو مثـــلى ؟

هاأشرقت الآن فغنوا الثورَ ، دعوه يدور دوار الأزلِ ليسكب شعراً ، ... يلقيه على الأصحاب رداءاً ، فيقولون :

مازالت أشعارُكَ تحتاج لكسر الشجن العالى والرؤيا مازالت ساذجة حدَّ الفقـــــــرِ .

*　　*　　*

حودا

ممتصٌّ كثداء المرضعة المأجورة ، كنهودِ الألفاظِ الضاجرة بأفواهِ الشعراء العرب جميعاً

ياعود البانِ الهيمان ، الغرقان لشوشته فى حُلم الحارةِ بالأسفلت ، ومشروع الصرف الصحىّ تضوع أسئلة ياحلم نبى !

ياحلم نبى القرن الواحد والعشرين .. أتقبل ؟ أقبل ، قبلنى واقبلنى ، إنى وجهتُ الشِعرَ إلى قبلتك القابلةِ ليولدَ من قلبك ياقلق اللقلق .. ياحُلمى ..

قدمنى فى أعراسِ النرجسِ ـ هذا الشاحب والحالمِ بالجلوةِ والعِطرِ ومطبوعات الهيئةِ

أنـــت تغالـــط نفـسكَ

ياصـــوت الصـــبِّ ،ويافحـــواى وبلـــواى

وهاك فسائل بحـــرٍ تنتظـــر الغـــرسَ

فيامـوجَ أسـاى البكـرَ الطافـحَ فـى النغـم
البـدوى ، الحامـل كُلّ منـاخ الطقـس الأعـرابىّ
احضـرنـى ،

أحضرنى فى حضرة مولاى الكوخ الأسرىّ ، فكوخٌ فى الرأس ، وكوخٌ ، يتربعُ فى القلبُ وكوخٌ ، يتمدد فى الحلقوم ، وكوخٌ ...
تبـاً للأكـواخ جميعـاً
تباً للصمت الهائج بالريب المنقض المائج
فى الضـوء الحالـك والناضـج
حدثـنى أبـداً ياحـودا
عن ألـق الـنزق القلـق الطاقـق حدثنـى
أبـداً ياحـودا
مافائـدة السيـل العـرم إذا حوصـر أبداً
فـى كـوخ ؟
مافائـدة الـوتر الثامـن
لـو يشهـق أبداً بالحرف ، ولا يصدحُ أبداً بالشعر ولا يخلع خصر الفن الضارب فى رحم الجهل

وحدثنـــــى
حدثــــنى أبــــداً ياحــــــودا
ياالعــــارف فــــى طــين الخــلق حنـينَ الحُلـمْ
ياالطيــب مثــل الـدّمْ
ياالطالـــع مـــن رحـم الرحمـةِ كــى لا ترحـــمْ

القلــمُ البهلــولُ تضــرع بـــين يديــك ،
ومسكونٌ بالشهوةِ ، بالقهوةِ تشربُ رأسك
فاشـــربْ ، إشــرب وتحــدثْ
الهمـــزةُ بـــين شفاهــــكِ عاريــــة ترجــفُ
تهــرفُ ، تنــزف همزتهـــا ، تتعكـــز جرحـــك
وتفتـــش عنـــك
هـــل كــان القــلمُ البهلولُ حكيماً ؟. وقديمــاً يعـــزف
أنغامــاً أم أوهامــاً لا يدركـها القـــومْ ؟

مـــداحٌ ، صـــداحٌ ، فضـــاحٌ ياحـــودا
تتغلغـــل مثـــل الرعشـــة فـــى جســـدى
وتـــراود لونـــاً محتقنـــاً بـــين الألـــوان
ومختلفاً ، تتموسق فيك الضحكةُ حتى الأذن الوسطى
تدخـــل مملكـــة المرجـــان
مَنْ قصَّ شريـــط الهـــم لتدخـــل مملكة الانسانْ ؟
لو كنـــت مكانـــك
لحملـــت العالـــم بـــين يـــدى ورحـــلتُ
مشيـــت علـــى حـــرفٍ كصـــراط اللـــه
لاعبت الأنغامَ الحور ، وداعبت قصائد كالغلمانْ
لـــو كنت مكانـــك ياحـــودا
لرقصـــت عـــلى منديـــل المـــاء
لكنـــك ليـــس ســـواكَ
وليـــس بديـــلك إلا أنـــتْ
فلـــماذا تغـــرق ياحـــودا فـــى هذا الصمتْ ؟

*   *   *

حودا

تتعتـق فيـه الأحــلام ، وتهـرم ،
يدخـل فى دوره دمٌ العصفــور الــدوريّ
ويقسـم أن العالمَ مـنه برئٌ مثـل الذئـب .

يتخثر بين بنات النجمة ، بين خصور بنات النجمة حين ينام جميلاً مثل حذاء العيد .

*　*　*

حودا

يتسنبل فى الطين ، يحاور قوقعة فى الماء الرث ، الريحُ شمالىٌ غربىٌ يحمل ضداً يأكل ضداً فى المابين العاشقَ حوداً

والمعشـــوق الثـورَ
أحـــدِّقُ

فى الممكن يكمن حودا ، فى غير الممكن يحترق الكُلُّ ويكمن حودا كعناقيد العنبِ الطازجِ أعصر تمراً
أشرب بعض الأشراقاتِ لحودا

حودا

يخرج من قوقعة الماء الآسنِ كالسركاريا يخرق جلد الأرضِ ، ويرحلُ فى دورتها حتى القبر .

تحولات

يحـرض مـوجَ غضبتـه
ويطلـق طائـراً للريـح ، يركبهـا
ويبـدع لـؤلـؤاً ، مـاءً وأسمـاءً
وطقسـاً باعثـاً للطهـرِ ، وامـرأةً مُجنحـةً
يراود نجمةً تمشى على مَهَلٍ ، توزع نصف بسمتها
ويسـرق نصفهـا الآخـرَ .
تلـك مديـنة ينتابـها البحـرُ
كـؤوس اترعـت باليـودِ فـى دمهـا
تحاولـه ، يحاولهـا
وتشـرب مـن عصارةِ فكرهِ الأسماكُ ، والأفلاكُ
تلـك حديقـة هجـرت منابعهـا
مرابط خيله الملكىُّ تتبعها إلى البحـر
وثمةَ بعضُ أشياءِ لها من كوةِ الماضَى تلألأُ
برتقـالٌ يافـعٌ

قــدسٌ ، وقــدَّاسٌ ومبكـى
جبــلٌ جليــلٌ .. ناقــةٌ
كــرمٌ ، نخيــلٌ عــارفٌ
وقــتٌ تعــتقَ ، ربمــا
يارقتهــا شربــت عصــارَتهُ الشعــوبُ
تناكحــت فيــه الأمــمْ

* * *

هو خارجٌ من بيضهِ الهم الثقيلِ
ومنجزٌ للكدحِ ، معروفٌ بسحنتهِ العتيقةِ
ربمــا يلهــو
ورب محــارب يزهــو
يجاهــد سطــوة الحيتــانِ
يمضــى بــين تمساحــين
مــن مــاءٍ إلــى مــاءٍ يطيــر عــلى أريكتــه
يقــرأ تحــت لــوح النيــلِ مزمــوراً لوحشتــه

ومشــــدوداً إلـــى بحريـــنِ
يحمـــل سلــةَ البيــضِ
يقـــول العـــارفُ المجهـــولُ :
لا تلق بكلِّ البيض فى سَلّهْ
ولا تقتل بلادَ الله من غُلّهْ
سيرزق آخر البلدانِ بالزورقْ
فيطفو العمرُ ، تلعق ظهره الأملاحُ
يشكو عندما يبقى بلا عملِ
يغادر وجهه البدوىُّ ، فلاّحاً
ويلعن آخر السُيّاح
للغواصِ أن يحيا على أسفنجة الحُلمِ
ورأسُ محمدٍ تهواهُ
للصيادِ أن يحيا صراع الشصِ ، والأسماكِ
قال : حبيبتى بلدٌ
تلطف جوها الأعرافُ

لى وجعٌ بترقوتى ، بعظمِ الظهرِ
لى شصٌ وإصرارٌ
وأحجيــةٌ ومزمــارٌ لنــاسِ النهــرِ
كـــلُّ مكابـــدٍ بطـلٌ
إذا لــم يعــرف السرطــانُ تحــوتَهُ
وللبسطاءِ حَقُّ الأكلِ فوق موائدِ الرحمانْ

* * *

لماذا يستطيل القلبُ فوق جزيرةِ العربِ
ويفتح دلفتيه على صراخٌ طالعٌ ، وهواءْ .
ذا وجـــعٌ سيفضحــهُ
فضيحــة بحــرهِ العُريــانِ
يلغـــى حكـــمةَ البَركـــةْ
وينفـــى كــل ماجـــاءت بـــه الحركةْ
ويحصـــد كــل خيـر البـر فـــى شبـــكةْ
أنـــا سمكـــةْ

وذا سمكــــةْ

وذى سمكـــةْ

لنا الأفــكارُ مربكةٌ ، ومرتبكةْ

وقد تتلاقح اللهجاتُ حتى تسقط اللهجةْ

ويبقــى الحرفُ محفوظاً بلعبتهِ السماويـةْ

يراود كـــلَّ صيـــادٍ

يـــوارى الخـوفُ شكتـــهُ

فتخـرج مـن ســدول الحـزن يافعةٌ حبيبتــهُ

وحين يفكر الصيــادُ فـى حفـلٍ جماعـىٍّ

ستعـــلن لحـيةُ التاريخِ فلسفةً بطوليـةْ

يثـــور البـــحرُ ثورتـــهُ

ويعلــــو النيـلُ والتاريـخ يثقـلهُ

يجاهـد سطـــوة الحيتـــانِ

يمضـــى بـــين تماحـــينِ

مـــن مـــاءٍ إلــــى مـــاءٍ

فيفـــرح سيـــدُ الوجهـــينِ
يطـــرح فوقـــه شبكـــةْ
أنـــا سمكـــةْ
وذا سمكـــةْ
وذى سمكـــةْ
وبين حبائـــل التاريـــخ تعرفنـــا
لنا الأفكارُ مربكةٌ ، ومرتبكةْ .

*   *   *

مصر - الهرم
٢ إبريل - ١٩٩١م

النارنج

لمن تُسْعَّرُ زهرةُ النارَنج سُرَّتَها ؟
خابت مساعى السحرِ فى فكّ
الرموزِ وبِتُّ مُنتَحِبَا
هل كُنتَ تعرفهم وتعرف ، كيف
تَعْرُكُهُمْ ، وتَحْبِسَهُمْ بِحُقٍّ ثم تفتحُ كَنْزَهُمْ
هل كُنتَ ؟ كُنتُ ...
كيف تَفِرُّ من رَصَدٍ على الباب / الوصيد
أبَتِ الخرافةُ أن تقوم لنطفتكْ
وتبرأ المخلوقُ من نارٍ ، ومن طينٍ
وَبِتُّ مُؤجلاً نسبا
فلمن تُسعَّرُ زهرةُ النارَنجِ سُرَّتها ؟
ولمنِ سواكَ
وأنت ، مخضَّباً بالنزفِ وقتكَ
تعرفُ زهرةُ النارَنج أنكَ لن تجئ لمرتين
وأنَّ فاختةً (صاصتْ) على الكُرْكيِّ :

مَنْ ذا يستعيــد الكلمـة الأولـى
سـوى مـن كـان معنيـاً بشفرتهـا
فَخُذْ لكَ شفرةً أخرى وَوَدِّعْ / قُلْ
لنَجمتكَ التى بهتَتْ ، وداعاً لم يعد للشعر
من نسبٍ ليرفع عن مناكبهِ احتواءَ الجوعِ
(كانت خليّات نَحْلٍ وهى عامرةٌ
لما خلا نحلُها صارت خليّات)
أفخنـدقاً صـار الفضـاءُ ؟
وكـذبةً صـارتْ أغانـى مَن يمـوتُ ؟
خـرافـة ...
أبـتِ الخـرافةُ أن تكـون رَهينَهـا
خُذ شفرةً أخرى ، وَوَسدها لَهاتَكَ
وانفعـل بالقـولِ .. قُلْ :
غيرُ الحقيقة مادفنتُ ، وودعتْ روحى
وخرجى لم يزل للآنَ ممتلئاً رموزاً
وامتشق أجلاً ، وأجِّلْ مابدا لك من نشورْ
سيقولُ مَنْ سيقولُ

قـــــلْ :
مَنْ قال أن البانَ ، والكافورَ مُنتسبٌ
لروضتـــــــه
سيهمسُ باسمِى السرىُّ أطلَعُ ماردا
يهوى إلى جبل ، ويحرقُ ماروى
مَنْ يدّعى أنَّ الهزارَ ، وبُلبُلاً ، هلا بساحتِهِ
سيهمسُ باسمىَ السرىُّ أطلعُ ماردا
يهوى إلى جبلٍ ، ويحرق ما ادعى
هى زهرةُ النارنج تطرح شفرة الكونِ الكبير
وتفثأ دمَّلَ التاريخ
وتُكمِلُ اللعبة

بيروت ـ كتابات معاصرة ـ حزيران ١٩٩١م

هامش :

البيت المضمن بين القوسين لشاعر مجهول والمصدر كتاب ألف ليلة وليلة .

صاصت : بمعنى نادت أو صاحت ، وهو استعمال عامى ، لذا وضعت بين قوسين ـ وهى من صوصو وليس من وصوص ، لأن وصوص بمعنى ضيق حدقة عينه ليرى .

لـمَا سقطت نجمة حابى

يااللبحـــــر ،
حـــــين رضـــيت بخيـــطٍ مـــنهُ
يـحـــن إليـــه
تبجـــح وجــهُ البحـــر بوجهـــى
حـــين وكلـــت الأمـــرَ إليـــه
تحـــدى ظمـــأى
قـــال : إلـــىَّ المرجـع
وأنـــا الأول
ياأيتـــها الشـــمس انفجـــرى
مـــورى غضبـــاً
إن البحـــر أبـــى واستعلـــى
كـــان البحـــر ،
إذا مالشمـــس تغَمـــضُ عيـــناً
يجمـــد فرقـــاً

حـين الشمـس تُفتّـحُ عينـاً
يقفـز سمكـاً
(يأكـل منـه الطيـرُ)
ونهـراً ، يسبـح فـى الملكـوت
يُسبِّـحُ
حـين أُصلـى
علّى ، أحظـى منـه بنظـرة عطـفٍ
كنـتُ أخـاف عليـه ، وأخشـى
أن تسرقـه الشمـس
فنـادى فـى الظلمـات :
إن الليـل أنـاب ، وأذعـن
ياأيتـها الشمـس التهبـى
مـورى غضبـاً
حتـى يحـرق تحـت حذائـك هـذا الليـل

* * *

حابى قد أرهقه الهمْ
حابى قُمْ
حابى لا تتلكأ قُمْ

* * *

حين يجف الضرعُ
يئن العظم
وتعلو الروحُ الجسدَ
وتلمح وجه الحق
فتلك زكاة الخصب تؤدى
نهرى الطائر
من سيؤدى عنه زكاة الخصب ؟
ياللجدب ،
حين يشد الجدبُ جلوداً حول الخصر
تسقُط نجمةُ حابى فوق جبين الملح
يرجع جذرُ اللوتس
يرخى زهرُ القطن تويجاً

حين ينق الضفدع
مد إلينا كف نداك
تخرج من مسكنها نملةٌ
تجرؤ .. تعلن
ياأبناء الجنس انتشروا
إن البشر تشابه
هذا زمن النمل الأبيض
يأكل من منسأةِ العالم
بالدواب الأرض ،
حين يشب الجدبُ كوحش
يخرج من قمقمة
يعلن ملح الملاحات ـ صديق الجدب ـ :
هذا زمن الملح الأصفر
يرقص في حلقوم الدينا

* * *

حابـــى قـــد أرهقـــه الهـــمْ
حابـــى قـــمْ
حابـــى لا تتلـكأ قـــمْ
حابـــى ينبـــئ
إن النبـــع يحـــرض مـــنه المجرى
حتـــى يشحـــذ ظمـــأى
لكـــن بـــين يـــدى
أن الهــــــدهــدَ
لـولا حـــطَّ بحجـــر نبـــى اللـــه قديـــماً
نبـــأ آخـــر ،
غيـــر إجابـــة ماقـــد طـُلب إليـــه
لأعتـــق جـيش الجـــن
ومكثـــت بنـــت الحـــرث الرائـش
تملـــك عـــرش سـبأ
بـــين يـــدى ،
أن أميـــر الأمـــة عمـــر

أرسل باسم الله لهذا النهر
ليس الأمر إليك ، ولك
يأتي زمن أنضل
حين يعض الجوع ضلوع الأرض
فتهرع كل المخلوقات
وتخرج من قشرتها
يصبح وجه العالم أنضر
زمنٌ .. ،
تسمو فيه الروحُ
وتعلو
فوق شحوم الرغبة
والإرهاق المترفَ .

البحرين - ابريل ١٩٨٩م
دبي - يونيو ١٩٨٩

مطابع جريدة السفير
الاسكندرية ٨٠٣٩٦٤
رقم الإيداع ٩٠٩٨/١٩٩١
الرقم الدولى
977-00-2410-4